الصباح الإسلامية
09
العدد 2224 - السنة الثامنة
الثلاثاء 12 شوال 1436 - الموافق 28 يوليو 2015
Tuesday 28 July 2015 - No.2224 - 8th Year

من كنوز مواعظ ابن الجوزي

دموع الخشية تمحو الخطايا .. والندم واجب على صاحب الذنب

الحكمة منحة ربانية جليلة يؤتيها من يشاء «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وقد زخر التاريخ الاسلامي برجال من الله تعالى عليهم بان أجرى الحكمة على ألسنتهم ونطقت بها شفاههم متأسين في كلامهم بسيد الحكماء محمد صلى الله عليه وسلم، ومن هؤلاء الحكماء العالم الرباني ابن الجوزي يرحمه الله، وهذه جملة من الحكم والمواعظ التي أثرت عن هذا الحكيم نفعنا الله واياكم بها:

الذنوب تغطي على القلوب، فاذا اظلمت مرآة القلب لم يبن فيها وجه الهدى، ومن علم ضرر الذنب استشعر الندم.

يا صاحب الخطايا.. اين الدموع الجارية، يا أسير المعاصي ابك على الذنوب الماضية، أسفا لك.. اذا جاءك الموت وما أنبت، واحسرة لك اذا دُعيت الى التوبة فما أجبت، كيف تصنع اذا نودي بالرحيل وما تأهبت، ألست الذي بارزت بالكبائر وما راقبت؟

أسفا لعبد كلما كثرت أوزاره قلّ استغفاره، وكلما قرب من القبور قوي عنده الفتور.

اذكر اسم من اذا أطعمته أفادك.. واذا أتيته شاكرا زادك.. واذا خدمته أصلح قلبك وفؤادك أيها الغافل ما عندك خبر منك! فما تعرف من نفسك الا أن تجوع فتأكل، وتشبع فتنام، وتغضب فتخاصم، فبم تميزت عن البهائم!

واعجبا لك! لو رأيت خطا مستحسنا لرقم لأدرك الدهش من حكمة الكاتب، وأنت ترى رقوم القدرة ولا تعرف الصانع، فان لم تعرفه بتلك الصنعة فتعجّب، كيف أعمى بصيرتك مع رؤية بصرك!

يا من قد وهي شبابه، وامتلأ بالزلل كتابه.. أما بلغك أن الجلود اذا استشهدت نطقت! أما علمت أن النار للعصاة خلقت! انها لتحرق كل ما يُلقى فيها، فتذكر أن التوبة تحجب عنها، والدمعة تطفئها.

سلوا القبور عن سكانها، واستخبروا اللحود عن قطانها، تخبركم بخشونة المضاجع، وتعلمكم أن الحسرة قد ملأت المواضع، والمسافر يود لو انه راجع، فليتعظ الغافل وليراجع.

يا مُطالبا بأعماله، يا مسؤولاً عن أفعاله، يا مكتوباً عليه جميع أقواله، يا مناقشاً على كل أحواله، نسيانك لهذا أمر عجيب!

ان مواعظ القرآن تذيب الحديد، وللقهوم كل لحظة زجر جديد، وللقلوب النيرة كل يوم به وعيد، غير أن الغافل يتلوه ولا يستفيد كان بشر الحافي طويل السهر يقول: أخاف أن يأتي أمر الله وانا نائم من تصور زوال المحن وبقاء الثناء هان الابتلاء عليه، ومن تفكر في زوال اللذات وبقاء العار هان تركها عنده،و ما يُلاحظ العواقب الا بصر ثاقب.

عجباً لمؤثر الفانية على الباقية، ولبائع البحر الخضم بساقية، ولمختار دار الكدر على الصافية، ولمقدم حب الأمراض على العافية.

قدم علي محمد بن واسع ابن عم له فقال له: من أين أقبلت؟.. قال: من طلب الدنيا، فقال: هل ادركتها؟ قال لا، فقال: واعجبا! انت تطلب شيئا لم تدركه، فكيف تدرك شيئا لم تطلبه.

يُجمع الناس كلهم في صعيد، وينقسمون الى شقي وسعيد، فقوم قد حلّ بهم الوعيد، وقوم قيامتهم نزهة وعيد، وكل عامل يغترف من مشربه.

كم نظرة تحلو في العاجلة، مرارتها لا تُطاق في الآخرة، يا ابن ادم قلبك قلب ضعيف، ورأيك في اطلاق الطرف رأي سخيف،فكم نظرة محتقرة زلت بها الأقدام يا طفل الهوى! متى يؤنس منك رشد، عينك مطلقة في الحرام، ولسانك مهمل في الآثام، وجسدك يتعب في كسب الحطام.

اين ندمك على ذنوبك؟ اين حسرتك على عيوبك؟ الى متى تؤذي بالذنب نفسك، وتضيع يومك تضييعك أمسك، لا مع الصادقين لك قدم، ولا مع التائبين لك ندم، هلا بسطت في الدجى يدا سائلة، وأجريت في السحر دموعا سائلة.

تحب أولادك طبعا فأحبب والديك شرعا، وارع أصلا تثمر فرعا، واذكر لطفهما بك وطيب المرعى أولا وأخيرا، فتصدق عنهما ان كانا ميتين، واستغفر لهما واقض عنهما الدين من لك اذا الم الألم وسكن الصوت وتمكن الندم ووقع الفوت وأقبل لأخذ الروح ملك الموت ونزلت منزلا ليس بمسكون؟ فيا أسفا لك كيف تكون وأهوال القبر لا تطاق؟

كأن القلوب ليست منا، وكأن الحديث يُعنى به غيرنا، كم من وعيد يخرق الآذان.. كأنما يُعنى به سوانا.. أصمّنا الاهمال بل أعمانا.

يا ابن آدم فرح الخطيئة اليوم قليل، وحزنها في غد طويل، ما دام المؤمن في نور التقوى، فهو يبصر طريق الهدى، فاذا أطبق ظلام الهوى عدم النور انتبه الحسن ليلة فبكى، فضج أهل الدار بالبكاء فسألوه عن حاله فقال: ذكرت ذنبا فبكيت! يا مريض الذنوب ما لك دواء كالبكاء يا من عمله بالنفاق مغشوش، تتزين للناس كما يُزين المنقوش، انما يُنظر الى الباطن لا الى النقوش، فاذا هممت بالمعاصي فاذكر يوم النعوش، وكيف تُحمل الى قبر بالجندل مفروش.

الك عمل اذا وضع في الميزان زان؟ عملك قشر لا لب، واللب يثقل الكفة لا القشر رحم الله أعظما" نصبت في الطاعة وانتصبت، جن عليها الليل فلما تمكن وثبت، وكلما تذكرت جهنم رهبت وهربت، وكلما تذكرت ذنوبها ناحت عليها وندبت.

يا هذا لا تنم أثقل من الغفلة، ولا رق أملك من الشهوة، ولا مصيبة كموت القلب، ولا تدبر أبلغ من الشيب الى كم أعمالك كلها قباح، اين الجد الى كم مزاح، كثر الفساد فأين الصلاح، ستفارق الأرواح الأجساد اما في غدو واما في رواح، وسيخلو البلى بالوجوه الصباح، أفي هذا شك أم الأمر مزاح.

فليلجأ العاصي الى حرم الانابة، وليطرق بالأسحار باب الاجابة، فما صدق صادق فرُد، ولا أتى الباب مخلص فصُد، وكيف يُرد من استدعي؟ وانما الشان في صدق التوبة.

الأيام مطايا بيدها أزمّة ركبانها، تنزل بهم حيث شاءت، فبينا هم على غوارب بها أفقتهم فوطئتهم بمناسمها.

النظر النظر الى العواقب، فان اللبيب لها يراقب، أين تعب من صام الهو جر؟ وأين لذة العاصي الفاجر؟ فكأن لم يتعب من صابر اللذات، وكان لم يلتذ من نال الشهوات.

جبلت القلوب على حب من أحسن اليها، فواعجبا ممن لم ير محسنا سوى الله عز وجل كيف لا يميل بكليته اليه احذر نفار النعم فما كل شارد بمردود، اذا وصلت اليك أطرافها فلا تنفر أقصاها بقلة لشكر.

يا هذا.. ماء العين في الأرض حياة الزرع، وماء العين على الخد حياة القلب.

يا طالب الجنة.. بذنب واحد أخرج أبوك منها، أتطمع في دخولها بذنوب لم تتب عنها؟ ان امرأ تنقضي بالجهل ساعاته، وتذهب بالمعاصي أوقاته، لخليق أن تجري دائما دموعه، وحقيق أن يقل في الدجى هجوعه.

أعقل الناس محسن خائف، وأحمق الناس مسيء آمن.

لا يطمعن البطال في منازل الأبطال، ان لذة الراحة لا تنال بالراحة، من زرع حصد ومن جد وجد، فالمال لا يحصل الا بالتعب، والعلم لا يدرك الا بالنصب، واسم الجواد لا يناله بخيل، ولقب الشجاع لا يحصل الا بعد تعب طويل.

كانبوا بالدموع فجاءهم الطف جواب، اجتمعت أحزان السر على القلب فأوقد حوله الأسف وكان الدمع صاحب الخبر فنم.

كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره، كيف يلهو من يقوده عمره الى اجله، وحياته على موته.

الدنيا في ادبار، واهلها منها في استكثار، والزارع فيها غير التقي لا يحصد الا الندم والعار.

ويحك! انت في القلب محصور الى أن ينفخ في الصور، ثم راكب أو مجرور، حزين أو مسرور، مطلق أو مأسور، فما هذا اللهو والغرور!

باي عين تراني يا من بارزني وعصاني، باي وجه تلقاني، يا من نسي عظمة شاني، خاب المحجوبون عني، وهلك المبعدون مني.

يا هذا زاحم باجتهادك المتقين، وسر في سرب أهل اليقين، هل القوم الا رجال طرقوا باب التوفيق ففتح لهم.

ألا رُب فرح بما يؤتى قد خرج اسمه مع الموتى، ألا رُب معرض عن سبيل رشده، قد آن أوان شق لحده، ألا رُب ساع في جمع حطامه، قد دنا تشتيت عظامه، ألا رُب مجد في تحصيل لذاته، قد آن خراب ذاته يا مضيعا اليوم تضييعه امس، تيقظ ويحك فقد قتلت النفس، وتنبه للسعود فالي كم نحس،و احفظ بقية العمر، فقد بعت الماضي بالبخس.

عينك مطلقة في الحرام، ولسانك منبسط في الآثام، ولأقدامك على الذنوب اقدام، والكل مثبت في الديوان.

كانوا يتقون الشرك والمعاصي، ويجتمعون على الأمر بالخير والتواصي، ويحذرون يوم الأخذ بالأقدام والنواصي، فاجتهد في لحاقهم أيها العاصي، قبل أن تبغتك المنون.

أنبلوا الشفاء يطلبون الشفاء بالصيام، وانصبوا لما انتصبوا الأجساد يخافون المعاد بالقيام، وحفظوا الألسنة عما لا يعني عن فضول الكلام، وأناخوا على باب الرجا في الدجى اذا سجى الظلام، فانشبوا مخاليب طمعهم في العفو، فاذا الأظافر ظافرة.

يا مقيمين سترحلون، يا غافلين عن الرحيل ستظعنون، يا مستقرين ما تتركون، أراكم متوطنين تامنون المنون وعظ أعرابي ابنه فقال: اي بني انه من خاف الموت بادر الفوت، ومن لم يكبح نفسه عن الشهوات أسرعت به التبعات، والجنة والنار أمامك.

ان النفس اذا أطمعت طمعت، واذا أقنعت باليسير قنعت،فاذا أردت صلاحها فاحبس لسانها عن فضول كلامها، وغض طرفها عن محرم نظراتها، وكف كفها عن مؤذي شهواتها، ان شئت أن تسعى لها في نجاتها.

علامة الاستدراج: العمى عن عيوب النفس، ما ملكها عبدالا عز، وما ملكت عبدا الا ذل.

ميزان العدل يوم القيامة تبين فيه الذرة، فيجزى العبدعلى الكلمة قالها في الخير، والنظرة نظرها في الشر، فيا من زاده من الخير طفيف، احذر ميزان عدل لا يحيف.

سمع سليمان بن عبدالملك صوت الرعد فانزعج، فقال له عمر بن عبدالعزيز: يا أمير المؤمنين هذا صوت رحمته فكيف بصوت عذابه؟

يا من أجدبت أرض قلبه، متى تهب ريح المواعظ فتثير سحابا، فيه رعود وتخويف، وبروق وخشية، فتقع قطرة على صخرة القلب فيتروى ويُنبت.

قال بعض السلف: اذا نطقت فاذكر من يسمع، واذا نظرت فاذكر من يرى، واذا عزمت فاذكر من يعلم.

قال سفيان الثوري يوماً لأصحابه: أخبروني لو كان معكم من يرفع الحديث الى السلطان أكنتم تتكلمون بشيء؟قالوا: لا، قال، فان معكم من يرفع الحديث الى الله عز وجل.

كلامك مكتوب، وقولك محسوب، وأنت يا هذا مطلوب، ولك ذنوب وما تتوب، وشمس الحياة قد أخذت في الغروب فما أقسى قلبك من بين القلوب.

علامات الساعة الكبرى والصغرى

يأجوج ومأجوج وخروج الدخان والنفخ في الصور

خروج يأجوج ومأجوج

فيهرب المسلمون إلى رؤوس الجبال، ويخرج يأجوج ومأجوج لا يتركون أخضر ولا يابسا، بل يأتون على بحيرة فيشربونها عن آخرها (تجف)، حتى يأتي آخرهم فيقول: قد كان في هذه ماء. طبعامكث عيسى في الأرض كان لسبع سنين، كل هذه الأحداث تحدث في سبع سنين، عيسى الآن من المؤمنين على الجبال يدعون الله جل وعلا، ويأجوج ومأجوج يعيثون بالأرض مفسدين وظنوا أنهم قد قتلوا وقضوا على جميع أهل الأرض، ويقولون نريد أن نقتل ونقضي على أهل السماء، فيرمون سهامهم إلى السماء، فيذهب السهم ويرجع بالدم فيظنون أنهم قتلوا أهل السماء «يخادعون الله وهو خادعهم».

نهاية يأجوج ومأجوج وموت عيسى عليه السلام

بعد أن يلهوا بمغنمهم ويدعو عيسى بن مريم والمؤمنين الصادقين، يرسل الله عز وجل على يأجوج ومأجوج دودة اسمها النغف يقتلهم كلهم كقتل نفس واحدة.

فيرسل عيسى بن مريم رجلا من خير الناس لينزل من الجبل ليرى ما حدث على الأرض، فينظر ويرجع ببشر عيسى ومن معه أنهم قد ماتوا وأهلكهم الله. فينزل عيسى والمؤمنون إلى الأرض مستبشرين بقتل يأجوج ومأجوج وعندها يدعو عيسى ربه بأن ينجيه ويخلصه لأنهم قد أنتنوا الأرض كلها، فتأتي طيور عظيمة فتحمل هذه الجثث، وينزل المطر فيغسل الأرض. ثم تنبت الأرض ويحكم عيسى بن مريم حكمه العادل في الأرض، فتنبت الأرض وتكثر الخيرات، ثم يموت عيسى بن مريم.

خروج الدابة بعد هذه الأحداث، تبدأ أحداث غريبة، يسمع الناس فجأة أن هناك دابة خرجت في مكة، حيوان يخرج في مكة. هذا الحيوان يتكلم كالبشر، لا يتعرض له أحد. فإذا رأى إنسان وعظه، وإذا رأى كافر، ختم على جبينه أنه كافر، وإذا رأى مؤمنا ختم على جبينه أنه مؤمن ولن يستطيع تغييره. يتزامن خروج الدابة، ربما في نفس يوم خروجها، يحدث أمر آخر في الكون، وهو طلوع الشمس من مغربها حيث يقفل باب التوبة نهائيا، لا ينفع استغفار ولا توبة في ذلك اليوم. تطلع الشمس لمدة ثلاثة أيام من المغرب ثم ترجع مرة أخرى، ولا تنتهي الدنيا غير أن باب التوبة قد أغلق.

الدخان

وبعدها يحدث حدث آخر، فيرى الناس السماء كلها قد امتلأت بالدخان، الأرض كلها تغطى بدخان يحجبهم عن الشمس وعن الكواكب وعن السماء. فيبدأ الناس (الضالون) بالبكاء والاستغفار والدعاء، لكن لا ينفعهم.

حدوث الخسوف

يحدث ثلاثة خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. خسف عظيم، يبتلع الناس. في تلك الأيام تخرج ريح طيبة من قبل اليمن تنتشر في الأرض وتقبض روح كل مؤمن على وجه الأرض.

تقبض روحهم كالزكامة (مثل العطسة)، فلا يبقى بالأرض إلى شرار الناس، فلا يوجد مسجد ولا مصحف، حتى أن الكعبة ستهدم قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «كأني أراه يهدم الكعبة بالفأس»، فلا يحج إلى بيت الله وترفع المصاحف، حتى حرم المدينة المنورة، يأتيه زمان لا يمر عليه إلا السباع والكلاب، حتى أن الرجل يمر عليه فيقول، قد كان هنا حاضر من المسلمين.

في ذلك الوقت لا يبقى بالأرض إلا الكفار والفجار، لا يقال بالأرض كلمة الله، حتى أن بعض الناس يقولون كنا نسمع أجدادنا يقولون لا إله إلا الله، لا يعرفون معناها. تنتهي الذكر والعبادة، فيتهارجون تهارج الحمر، لا يوجد عدالة ولا صدق ولا أمانه، الناس يأكل بعضهم بعضا ويجتمع شياطين الإنس والجن.

خروج نار من جهة اليمن

في ذلك الوقت تخرج نار من جهة اليمن، تبدأ بحشر الناس كلهم، والناس تهرب على الإبل، الأربعة على بعير واحد، يتناوبون عليها، يهرب الناس من هذه النار حتى يتجمعوا كلهم في الشام على أرض واحدة.

النفخ في الصور

فإذا تجمع الناس على هذه الأرض، أذن الله عز وجل لنافخ الصور أن ينفخ النفخة الأولى فإن الساعة قد قامت. عندها كل الخلق يموتون، البشر والحيوانات والطيور والحشرات والجن وكل مخلوق في الأرض والسماء إلا من شاء الله. وبين النفخة الأولى والثانية أربعون لا يدرى أربعون ماذا؟ يوم، أسبوع، شهر؟ في خلال هذه الأربعين ينزل مطر شديد من السماء، وأجساد الناس من آدم إلى أن انتهت الأرض تبدأ تنبت وتتكون، فإذا اكتملت الأجساد، أمر الله نافخ الصور أن ينفخ ليرى الناس أهوال القيامة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا. ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص من آثامهم شيئا».

شبهات وردود من القرآن

كثير من الشبهات تنطلق على السنة الناس وخاصة النساء اللاتي غاب عنهن العلم بكتاب الله تعالى والفقه في الدين وبنظرة بسيطة سنورد بعض الشبهات وكيف فندها القرآن الكريم بكلمات مختصرة قليلة المبنى عظيمة الاثر والمعنى، وعلى سبيل المثال لا الحصر: انك تسمع من تقول: «انا احب الله وهذا يكفي» نقول لها: «قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله».

وهناك من تقول: ان الدين يسر

نقول لها: «يريد الله بكم اليسر».. ولقد امر الله بالحجاب للتيسير

وتقول: ان التبرج امر هين، ونقول: «وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم».

وتقول:انني صغيرة وسوف اتحجب عندما اكبر، ونقول لها: ان الموت لا يعرف صغيرا ولا كبيرا.

وهناك من تقول سوف اتحجب بعد الزواج، ونقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم « ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه».. فقد يحرمك الله من الزواج.

وتقول: زوجي لا يرضى الحجاب، ونقول: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

وهناك من تقول: أتحجب عندما اقتنع بالحجاب، ونقول: «ما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم».

وتقول: أن الحجاب يعوق عن العمل، ونقول: رضا الله وجنته أغلى من كل شيء.

وتقول: لا أطيق الحجاب في الصيف والحر، ونقول: «قل نار جهنم أشد حرا».

وتقول: ان طهارة القلب تغني عن الحجاب، ونقول: لو طهر القلب لاستقامت الجوارح....فقد قال صلى الله عليه وسلم: «ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب».